الأخلاقيات الطبية في عصر الحضارة العربية الاسلامية

د. رضي جواد باقـر محمد البياتي
طبيب اخصائي
باحث في تاريخ الطب العربي الإسلامي

مقدمة

إن كان الله قد اكرم الانسان بالعقل فان اكرام العقل يكون بحسن استعماله, وخير ما يستخدم بهما العقل هما الايمان بالله والعلم , والايمان يعزز بالاخلاق وكذلك يصان العلم بالأخلاق.

و الطب علم يتصل تطبيقه بالإنسان مباشرة حياته ومماته , عافيته و مرضه ومجمل هذه الممارسات لا يمكن أن تصان ألا بالأخلاق , و أن كانت النظرة للطبيب ولا تزال مكللة بالكمال فان من كمال الإنسان أن يكون متصفاً بالأخلاق , وان صعب على الانسان الكمال وتعذر الوصول اليه, فان السير في طريقه يقربه من الكمال.

تعريف الأخلاق

عرف الفلاسفة العرب والمسلمون الخلق من خلال دراساتهم لعلم الاخلاق ,ومنهم الإمام أبو حامد محمد الغزالي(ت٥٠٥ ه) فقد عرف الخلق[١]
: الخلق عبارة عن هيئة في النفس راسخه عنها تصدر الافعال بسهوله ويسر من غير حاجه الفكر ورويه ,فان كانت الهيئه بحيث تصدر عنها الافعال الجميله ,المحموده عقلا وشرعا سميت تلك االهيئه خلقا حسنا ,وان كان الصادر عنها الافعال القبيحه سميت الهيئة التي المصدرخلقا سيئا .

كما عرف الفيلسوف العربي "محي الدين بن العربي " خلق الانسان بأنه"[٢]:- « حالة للنفس بها يفعل الإنسان أفعالة بلا روية ولا لإختبار ، والخلق قد يكون في بعض الناس غريزة وطبعاً ، وفي بعضهم لا يكون إلا بالرياضة والإجتهاد ومجاهدة النفس وتقويتها» .

أما سلوك الإنسان فيطلق على أعمال الإنسان الظاهرة وإن كانت مغايرة لما تنطوي عليه سريرته ، ويمكن تعريف السلوك[٣] :- « الأعمال الإرادية للإنسان الموجهة نحو غاية معينة مقصودة » . وهو هنا عمل الإنسان وليس ما يقوله ويختلف سلوك الإنسان حسب ظرفه أو حاله من علم وجهل - صحة ومرض - فقر وغنى وعليه فالأعمال التي تسمى سلوكاً يجب أن تتركز على قاعدة من الفضائل العامة للأخلاق ،ومع نظرة شمولية إنسانية لكل الأخرين .

والطب كمهنة ذات أبعاد ثقافية و علمية وخبرة وفلسفة عميقة ينبغي فيها معرفة حقيقة الأنسان بروحه وجسمه بصحته ومرضه وما يحدث فيه من تغيرات ، وما هو طبيعي من هذه التغيرات وما هو غير طبيعي , فإن أغلب مايقدمه الطبيب للمريض هو رأيه .... وهو نصيحته التي تتركز على عقله و حكمته .
وهذه الحكمة ناتجة مما تعلمه من أساتذته و قراه في كتبه وأضاف عليها إبداعه وأخلاقه .

---

[١] الأخلاق عند الغزالي د. زكي مبارك ص ١١٤ مطبعة دار الكتاب العربي

[٢] تأملات في فلسفة الأخلاق منصور علي رجب ص٩١ الطبعة الثالثة ١٩٦١

[٣] المصدر السابق

وكان الأطباء قديماً هم الفلاسفة و الحكماء أيضاً . ومن أقدم العصور ولحد اليوم فإن الطب يعتبر مهنة سامية وعمل شريف لما له من مساس بحياة الناس وأرواحهم وشرفهم .
أن الأخلاق هي ركن اساسي في فلسفة الطب وكذلك في تطبيقه , وعليه فان هؤلاء الفلاسفة والاطباء لم يتركوا الاخلاق الطبيه دون الدراسة والبحث .

الاخلاق في عصر الحضاره العربيه الاسلاميه :-

مصدر الأخلاق في الإسلام هو من كلام الله سبحانه و تعالى في كتابه الحكيم ؛ والذي يأمر بمكارم الأخلاق و محامد الخلال والنهي عن المنكر والرذائل والشر والبغي والكذب, فقد ورد في القران الكريم العديد من الايات التي تامر او تحض اوترغب على الالتزام بالاخلاق الفاضله وقد تكون هذه الايه نموذج رائعا :
« إن الله يأمر بالعدل والإحسان »[1] .
وسنة الرسول (ص) وأحاديثه الشريفة هي المصدر الثاني ، فما كان يصدر عنه من نطق وعمل ووصية وإرشاد وهو الذي لا يتكلم عن هوى, هي شرح لتعاليم القرأن ومتممه لها وفيها تطبيق عملي لتعاليم الإسلام .وحين نرى ان الله سبحانه وتعالى يصفه بانه على خلق عظيم فهو دليل على امرين اولهما يدل على ما للاخلاق من اهمية في تقييمه سبحانه وتعالى وثانيهما يبين ان الرسول الكريم يحمل من الاخلاق ما لا يحمله غيره و كيف لا وهو الذي يقول ادبني ربي فاحسن تأديبي[2] فما أعظم المؤدب وما اكرم المؤدب وقد اتخذ المسلمون النبي (ص) قدوة لهم ومرجعا لهم في كل صغيرة وكبيرة وقد عبر الرسول (ص) في قوله انما بعثت لاتمم مكارم الأخلاق[3] عن أن المسالة الأخلاقية بمفهومها الفلسفي هي الاساس في الدين الاسلامي , ولم يأل جهداً ال بيت النبوة وأصحاب النبي عليهم السلام في تثبيت هذا الخلق في حياتهم ليكونوا المثل الأعلى في الإلتزام بما جاء به القرأن وسنة الرسول (ص) . ولا يسع لمثل هذا الموضوع المجلدات الضخام .

. اعتمد فلاسفة المسلمون على القران وعلى ما ورد عن النبي(ص) من قول وفعل كاساسيات لهم في فلسفة الاخلاق وخصوصا بعد اطلاعهم على الفلسفة اليونانيه و التي تفاعلوا معها كثيرا[4]. وانتهج فلاسفة المسلمون منهجا توفيقيا في اكثر الاحيان بينها وبين قيم الاسلام الاخلاقيه والتي اعطت الاراء الفلسفيه قيمة واقعيه من خلال اعتبار المبادى والافعال خاضعة للحساب في الاخره (كل نفس بما كسبت رهينة)[5] وعليه صار الالتزام بها مما يثاب الانسان عليه أي ان عمل الخير مرتبط بعمل الأخرة التي هي أساس كل عمل يقوم به المسلم وعليه فإن مكارم الأخلاق هي من صميم عمل و سلوك المسلم ولا بد منها والعبادات وحدها لا تكفي.
وان كانت الصفات الاخلاقيه تقسم الى خير وشر وجمال وقبح فقد اكد الاسلام عليها ايضا.

ومن فلسفة الاخلاق الاسلاميه نمت وازدهرت فلسفة الاخلاق الطبيه في الاسلام وليس مبالغا فيه ان الاخلاق الطبيه قد وصلت ذروتها في الاسلام.
وسلوك الطبيب المسلم في مهنته تابع لأخلاقيات الإسلام وهي من الفرائض وعليه العمل بها في معالجته للمريض وفي شتى السبل والأوقات ولا فرق بين غني وقوي وفقير وضعيف .

---

[1] .القران الكريم سورة النحل (١٦ :٩٠)

[2] راجع المعجم الفهرس لألفاظ الحديث النبوي فينسنك ومختار الأحاديث النبوية السيد احمد الهاشمي و خلق المسلم محمد الغزالي الطبعة السادسة ١٩٦٢

[3] المصدر السابق

[4] موسى محمد يوسف تاريخ الأخلاق ص ١٧٢ دار الكتاب العربي الطبعة الثالثة ١٩٥٣ مصر

[5] القران الكريم سورة المدثر ٧٤ :٣٨

ويعتمد الطبيب المسلم على هذه الأخلاقيات في تعامله مع المريض في عمله اليومي وكذلك على كل ما يستجد في مجال الطب من مستجدات[1] , فقد اعتمدت الاخلاقيات الطبيه الاسلاميه على مبدا وضع الطب وسيلة لخدمة الانسان يبغي من خلالها رضا الله سبحانه وتعالى.
ومما لاشك فيه فان للطبيب في سيرة الرسول (ص) إسوة حسنة وهي مثال للخلق الرفيع والتي اذهلت الناس من يومها ولحد الأن والى يوم الأخرة وهو القائل :- « خياركم أحسنكم أخلاقاً »[2] .

فلاسفة الإسلام والاخلاق .

كما مر ذكره فان الفلاسفه المسلمون تاثروا كثيرا بما اطلعوا عليه من اراء للفلاسفه الاغريق فيما يخص الاخلاق و الاخلاقيات الطبيه وعليه فلابد من استعراض سريع للفلاسفة الاغريق ولارائهم بهذا الخصوص ؛
ولعل فيثاغورس[3] هو من الأوائل الذين تبنوا الأخلاق الحميدة والفضيلة مسلكاً لإنتصار الروح على الجسد إنتصاراً للخير .
وهذا عكس ما ظهر بعد ذلك من فلسفة سوفسطائيه دعوا أصحابها للمراوغه والإحتيال الى لإنتصار المنفعة الفردية على غيرها من القيم .
إلا أن سقراط (٤٧٠ – ٤٠٠ ق.م)[4] يمكن اعتباره أول من ثبت الفلسفة على أساس متين وشاد عليها الفلسفة الأخلاقية . وهو من قال :-
« إن المرء لا يكون فاضلاً إلا إذا أتى الفضيلة على علم » .
وعلية فإن سقراط يعد مؤسس علم الأخلاق أما تلميذه أفلاطون (٤٢٧ ق.م)[5] فقد دعا كأستاذه الى العفة والشجاعة وجعل الحكمة أم الفضائل . ويرى افلاطون أن الفضيلة العليا هي فضيلة العدالة .
وحمل الرسالة بعده أرسطو (٣٨٥ ق. م)[6] وهو المعلم الأول ويرى أرسطو أن السعادة الحقيقية التي هي مبعث مبعث اللذه عند الإنسان هي بالتوصل الى خيرات النفس وذلك بالتأمل والتفكير، باسمى جزء فينا الا وهو العقل, والتأمل في الله يجعل الإنسان قريب من ربه .

وبعد أن بدأت تنبثق للعالم الحضارة العربية الإسلامية ، كان للفلاسفةالمسلمين دوراً أخر رائعاً في الأخلاقيات ومنهم الكندي (٢٤٦ه)[7] وهو من سميَّ بفيلسوف العرب . والذي كتب في الأخلاقيات متأثراً بالفلسفة الأغريقية وجمع بينها وبين الفكر الإسلامي .
والفارابي(٣٣٩ ه)[8] :- وهو المعلم الثاني وقد تعلم في بغداد وعاش فيها وفي دمشق حيث توفي ودفن وله أراء في الأخلاق وفي الحكمة وقد حدد شروطاً لمن يريد أن يعمل بالحكمة (والطب هو من الحكمة): ينبغي

---

[1] محمد د.حمود الحاج قاسم السلوك الطبي الإسلامي ص٨٩ منشورات الجمعية الطبية الإسلامية موصل العراق ٢٠٠٤

[2] صحيح مسلم الجزء الرابع كتاب الفضائل صفحة ١٨١٠ دار إحياء التراث العربي ١٩٥٤

[3] موسى محمد يوسف تاريخ الأخلاق ص ٤٧ دار الكتاب العربي الطبعة الثالثة ١٩٥٣

[4] نفس المصدر السابق ص٧٩

[5] نفس المصدر السابق ص٨٥

[6] نفس المصدر السابق ص ١٧

[7] البهي محمد الجانب الإلهي من التفكير الإسلامي ص ٢٩٣ الطبعة الثالثة ١٩٦٢

[8] محفوظ د. حسين علي الفارابي في المراجع العربية ص ٢٦١ دار الحرية للطباعة ١٩٧٥

لمن أراد الشروع في الحكمة أن يكون شاباً صحيح المزاج ، قد تعلم القرأن واللغة وعلوم الشرع ويكون غير مخل بأدب من آداب السنة والشريعة ولا يتخذ علمه الة لكسب الاموال ومن كان بخلاف ذلك فهو حكيم زور .
إبن سيناء(ت٤٥٢ه)[1]:- وهو الشيخ الرئيس أبو علي بن سينا وكان طبيباً فيلسوفاً وشاعراً ورياضياً وفلكياً ، وقد إهتم بدراسة الأخلاق للفرد والجماعة .
وله كتب ومنها (رسالة في الأخلاق) و (رسالة في العهد) وهو يدعوا الإنسان إلى أن يسوس نفسه قبل أن يسوس الأخرين وسياسة النفس تكون بالالتزام بالأخلاق والمثل الفاضلة . يرى إبن سينا - كما رأى من قبله فلاسفة الغريق – إن الفضائل والرذائل كثيرة ، ولكن يمكن جمعها وتصنيفها بحسب القوة النفسانية الثلاث : الشهوانية و الغضبية والناطقة وعندما تتفاعل مع بعضها وتتوازن بصورة صحيحة تنتج عنها الفضيلة العليا وهي (فضيلة العدالة) .
و الفضيلة هي الوسط بين رذيلتين إن نقصت عن حد معين تكون رذيلة وإن زادت عن حد معين فهي رذيلة مثلا.
« التبذير – الكرم – البخل » .
و من الفضائل :-

- **الحكمة :- وهي فضيلة العلم ، وهو إدراك الأشياء التي من شأن العقل الإنساني أن يدركها لايلحقه منها خطأ ولا زلل .**
- **الصدق :- أن يوافق المرء منطوق لسانه ومكنون ضميره .**
- **الرحمة :- الشعور بالمواساة والرقة عندما يحل مكروه أو ألم بأناس آخرين .**
- **العفة:- ضبط النفس عن الشهوات وقسرها للاكتفاء بما يقيم أود الجسد ويحفظ صحته.**
- **كتمان السر :- مركب من الأمان والوقار فإن إخراج السر من فضول الكلام وليس يوقر من تكلم بالفضول ومن استودع سراً فأفشاه الى غير صاحبه يفقد الأمانة .**

وغيرها من صفات الفضيلة (الصبر و العدل والأمانة والحلم والوقار ، الحياء – الوفاء – الفطنة – البيان – أصالة الرأي – عظم الهمة – الود – سلامة النية) وغيرها كثير .
الرذائل :-
واذا كنت الفضيلة المركب إليها صعب فان الرذيلة مركبها وطئ ، وهي أكثر من الفضائل , ومنها ؛

- **الشره :- الحرص على إكتساب الأموال والمواد وجمعها .**

وغيرها : (الوقاحة – التبذل ـــ إفشاء السر – الخيانة – الكذب – .....) وغيرها كثيرات .

وأبن مسكويه(٤٢٨ه)[2]:- وهو المعلم الرابع أحمد بن محمد بن يعقوب وأحد الفلاسفة المسلمين ممن إهتموا بالأخلاق وله كتاب قيم (تهذيب الخلاق وتطهير الأعراق) .
ويرى إبن مسكويه أن الأخلاق هي الأساس في بناء المجتمع .

وإبن باجه الأندلسي و إبن طفيل[3] :- وهم من الفلاسفة الذين إهتموا بالأخلاق وربطوا العقل بالأخلاق .

والإمام الغزالي (٤٥٠ ه)[4]:- أبو حامد محمد بن محمد الغزالي أحد الفلاسفة الذين بحثوا في الفلسفة الأخلاقية وكتب فيها . وعلم الأخلاق عنده هو تكييف النفس وردها الى ما رسمته الشريعة . والخلق هو هيئة في النفس راسخة تصدر الأفعال لا إرادياً وتتسم بما فيها من قبح او حسن.

---

[1] شيخ الأرض تيسير المدخل إلى فلسفة ابن سيناء ص ٣٤٤ دار الأنوار الطبعة الأولى ١٩٦٧

[2] الرازي أبي بكر محمد بن زكريا تاريخ النظريات الأخلاقية وتطبيقاتها العملية ص ٣٠ الطبعة الرابعة ١٩٦٥ دار الفكر العربي

[3] نفس المصدر السابق ص ٣٤ و٣٥

[4] الغزالي محمد خلق المسلم دار الكتب الحديثة ١٩٦٢.

الأخلاقيات الطبية :

لقد بقيت مهنة الطب محتفظة بتقاليدها العريقة والتمسك أو على الاقل الاعتراف بما يسمى بالخلق المهني الى حد كبير فلايزال الطبيب يلقى اهتماما" خاصا" في اغلب المؤسسات الصحيه وضمن اكثر المجتمعات في العالم ان الاخلاقية او الخلق الطبي يكون الاساس في مهنة الطب ومركز هذه الاخلاقية يكمن في تعامل الطبيب مع مرضاه ومع اساتذته وزملائه والمجتمع الذي يعيش فيه الى جانب علمه ومعرفتة وتطويرها ولاشك في ان السبب الذي يكمن خلف الاهتمام باداب المهنه هو طبيعة مسؤلية الطبيب والتي تتعلق بصحة المريض ومرضه وبحياته وموته والى جانب علاقته بصحة المجتمع كله وتعكس هذه الاهميه الكتابات الكثيره التي كتبها الرواد الاقدمون منذ الاف السنين وعبر العصور الى يومنا هذا عن اداب مهنة الطبيب واخلاقه وصفاته.
وفي وصية أبقراط (٤٠٠ق.م)[١] والتي يبين فيها صفات واخلاق الطبيب يرد
« ينبغي ان يكون المتعلم للطب في جنسه حراً وفي طبعه جيداً معتدل القامة ، متناسب الأعضاء ، حسن الحديث ، صحيح الرأي عند المشوره عفيفاً شجاعاً غير محب للفوضى ، مالكاً لنفسه عند الغضب ، ولا يكون تاركاً في الغاية ولا يكون بليداً .
وينبغي أن يكون مشاركاً للعليل مشفقاً عليه ، حافظاً لأسراره لأن كثير من المرضى يوقفونا على أمراضهم و لا يحبون أن يقف عليها غيرهم .
وينبغي أن يكون محتملاً للشتيمة ، لأن قوماً من المبرسمين وأصحاب الوساوس السوداويه يقابلونا بذلك ، وينبغي أن نحتملهم عليه : ونعلم أنه ليس منهم ، وأن السبب من المرض الخارج عن الطبيعة ، وينبغي أن يكون حلق رأسه معتدلاً مستوياً ، لا يحلقه ولا يدعه كالجمه ، ولا يستقصي قص أضافر يديه ، ولا يتركها تعلو على أطراف أصابعه .
وينبغي أن تكون ثيابه نقيه لينة ، ولا يكون في مشيه مستعجلاً ، لأن ذلك دليل على الطيش ، ولا متباطئاً لأن ذلك دليلاً على فتور النفس .
وإذا دعي الى مريض فليقعد متبرعاً ويختبر منه حاله بسكون وتأن ، لا بقلق واضطراب ، فإن هذا الشكل والزي والترتيب عندي أفضل من غيره » .

وكذلك من أقوال ابقراط المأثورة في أداب المهنة وتقاليدها وواجباتها وصفات الطبيب[٢] :-
« يجب على من يريد الحصول على المعرفة التامة في العلوم الطبية ان يكون لديه الاستعداد التام لذلك ، وأن يلتحق بمعهد لطبيب ، وان يتعلم منذ حداثته وان يكون لديه الميل للعمل وكذلك وقت كافي يخصصه للدراسة .
إن أهم واجب للطبيب هو العمل على إزالة ألام المريض أوعلى الأقل تخفيفها .
وعلى الطبيب واجب هام جدير بالاعتبار ، وهو أن يكون حسن المظهر والهندام ، وألا يكون عليلاً أو ضعيفاً لأن المرضى يعتقدون أن الشخص الذي لايمكنه العناية بنفسه لا يمكنه العناية بغيره ؛ وعلى الطبيب أن يتعلم أن يصمت في الوقت المناسب ، كما يجب الاعتدال في مشيته محافظاً على سمعته وكرامته ،وعليه أن يحسن التصرف كالرجل الشريف ، وان يكون صبوراً رقيق الجانب ، وأن يكون هادئاً غير متهور في عمله ، ساكن الجنان غير حاد المزاج أوعبوس ، كما لايجب أن يكون كثير المرح كذلك .
ويجب على الطبيب أن يتحلى بخصال الفيلسوف الحميدة ، ومنها إنكار الذات والحماس والتواضع والمظهر المحترم والجدية والحكم الهادئ وهدوء الفكر ، والحزم والحياة الطاهرة وعدم الثرثرة وتجنب الأشياء الضاره ، والإيمان والتعبد بالله » .
وقد ورد في كتابات جالينوس (٢٠٠ب.م)[١] ما يؤكد اهمية الاخلاق في العمل الطبي وحث المريض على التاكد من اخلاق الطبيب والمامه بصنعته قبل استشارته كما ورد في كتاب محنة الطبيب وكتاب كيف تعرف ان الطبيب فلان فاضلا.

---

[١] التكريتي د. راجي عباس السلوك المهني للأطباء الصفحة ١٠٥ دار التربية بغداد العراق

[٢] السامرائي كمال مختصر تاريخ الطب العربي الجزء الأول الصفحة ١٠٤ دار الشؤون الثقافية والنشر بغداد العراق١٩٨٥

ألاخلاقيات الطبيه في عصر الحضارة العربية الإسلامية :-

أن مبادئ الإسلام العليا كما امر بها سبحانه وتعالى وكما وردت في احاديث وسنة النبي (ص) وكما وردت عن ال البيت والصحابه عليهم السلام والتي ترفع القيم الاخلاقيه الى مستوى عال من الانسانيه والرغبه في عمل الخير والاحسان في سبيل الله قد تركت أثارها الكبيرة على أخلاقيات مهنة الطب.

*** ولقد افرد الأطباء العرب والمسلمون العديد من الكتب في يخص اخلاق الطبيب ومنها كتاب (اخلاق الطبيب) لابي بكر الرازي[٢] و كتاب (ادب الطبيب) لابي العلاء صاعد بن الحسن[٣] (أواخر القرن الخامس للهجره) الا ان ابرزها , واوسعها , واكثرها تركيزا في صلب الموضوع هو كتاب (ادب الطبيب) لاسحاق بن علي الرهاوي[٤] وهو من أطباء الثلث الأخير من القرن الثالث الهجري ولقد ذكر في مقدمة كتابه (تكلفت جمع ما قدرت عليه من الاداب التي ينبغي للطبيب ان يؤدب نفسه بها ,والاخلاق المحمودة التي ينبغي ان يقوم بها طبعه محتسبا للثواب في ذلك واثقا بمعونة الله وتاييده) , ومن فلسفة الرهاوي ان رعاية الطبيب لجسمه وحفظ صحته هي من الظواهر التي تدفع مرضاه الى العمل بوصاياه ويفرد الرهاوي بابا يورد فيه جدولا لاعمال الطبيب اليوميه والتي كان يمارسها ، وتتضمن النظافة وابتداء اليوم بالصلاة إلى الله تعالى . وفي هذا الكتاب ابواب عدة منها ؛ أمانة الطبيب واعتقاده , وما ينبغي للطبيب ان يحذره , وما يجب ان يوصي به خدم المريض , وفي يوصي من ادب لعواد المريض , وفي ان الطبيب يجب له التشريف بحسب مرتبته من صناعة الطب من الناس كافة ,ولكن تشريفه من الملوك والافاضل يجب ان يكون اكثر , وفي شرف صناعة الطب , وفي محنة الطبيب , وفيما ينبغي للطبيب ان يذخره ويعده من وقت صحته لوقت مرضه فهو ينصحه ان يلتمس رزقه من الاغنياء دون الفقراء مع عدم التفريق في العنايه وان لا يشح بصناعته ان شح ذوو اليسار بمالهم وان لايبذر ماله ولايبخل وان يذخر ما يكفيه عند الكبر ,ومن زمان شبابه الى زمان شيخوخته ,**
وهو يرى ان الطب ان اصلح صحة الناس فهو يفيدهم في الاقرار بتوحيد الله وعبادته وهو ما يهدف اليه الطبيب في عمله .
و في حياة الطبيب الخاصه وتصرفاته فقد كانت الوصايا تذكر وكما ورد عن الرازي في كتابه المنصوري[٥] وكذلك ما تكلم به ابن رضوان[٦] وكلها تدعوا الى الوقار والتزام الاخلاق والدراسة والتامل وعدم اضاعة الوقت في اللهو .

مفردات من الأخلاقيات الطبية في كتب الأطباء العرب والمسلمون :

*** وكذلك نورد بعض مما ورد عن بعض من الاطباء العرب والمسلمين فيما يخص اخلاق المهنه وصفات الطبيب :**
فقد اشترط الاطباء المسلمون شروطا جسمانيه وعقليه واخلاقيه لطالب الطب وممارسه ؛
فقد جاء في كتاب ابن أبي اصيبعه المؤرخ الطبي الشهير[١] إن الطبيب ابن رضوان المصري(ت٤٦٠ه) اشترط على الطبيب :-

---

[١] ابن أبي اصيبعة عيون الأنباء في طبقات الأطباء تحقيق د.نزار رضا الصفحة ١٢٧ منشورات دار مكتبة الحياة بيروت

[٢] المصدر السابق ص ٤١٤.

[٣] المصدر السابق ص ٣٤٠.

[٤] الرهاوي اسحق بن علي كتاب أدب الطبيب تحقيق د.كمال السامرائي ود.سلمان داود ص٢٢وص٣٧ و١٠٧ وص١١١وص١١٣وص١٤٥وص١٩٧ سلسلة خزانة التراث بغداد ١٩٩٢

[٥] الرازي أبي بكر محمد بن زكريا المنصوري في الطب تحقيق د.حازم البكر ي ص٢٥٣ المنظمة العربية للتربية والثقافة ١٩٨٧ الكويت

[٦] السامرائي د.كمال الكتاب النافع في كيفية تعليم صناعة الطب لعلي بن رضوان المصري ص٤١مطبعة جامعة بغداد ١٩٨٦

١- ان يكون تام الخلق ,وجميع الأعضاء ,حسن الذكاء, جيد الرؤية , عاقلا ذكورا , وخير الطباع.
٢- ان يكون حسن الملبس , طيب الرائحة , نظيف البدن . ونظيف الثياب.
٣- ان يكون كتوما لاسرار المرضى لايبوح بشي من امراضهم.
٤- ان تكون رغبته في شفاء المرضى اكثر من رغبته فيما يتلمسه من الاجر , ورغبته في علاج الفقراء اكثر من رغبته في علاج الاغنياء.
٥- ان يكون حريصا على التعليم , ونفع الناس.
٦- ان يكون سليم القلب ,عفيف النظر, صادق اللهجة , لايخطر بباله شئ من امور النساء, والاحوال التي يشاهدها في منازل الاغنياء , فضلا عن ان يتعرض الى شئ منها.
٧- وان يكون مأمونا ثقه على الأرواح والأموال , ولا يصف دواءا يسقط االاجنه.
٨- يعالج عدوه ننية صادقه كما يعالج حبيبه .

*** ومن شروط تعلم المهنة و ممارستها ان يقسم الطالب و الممارس بقسم ابقراط (والذي أعاد تنظيمه الأطباء العرب والمسلمون)[٢] .**
« إ قسم بالله برب الحياة والموت واهب الصحة وخالق الشفاء وكل علاج ، وأقسم بأولياء الله من الرجال والنساء جميعاً ، وأشهدهم جميعاً على أني أفي بهذه اليمين وهذا الشرط ، وأرى أن المعلم لي هذه الصناعة بمنزلة آبائي وأواسيه في معاشي ، وإذا احتاج إلى مال واسيته وواصلته من مالي ، وأما الجنس المتناسل منه فأرى أنه مساوٍ لأخوتي وأعلمهم هذه الصناعة إن احتاجوا لتعلمهالا ا بغي أجرة ولا شرط وأشرك أولاد المعلم لي والتلاميذ الذين كتب عليهم الشرط وحلفوا بالناموس الطبي والوصايا والعلوم وسائر ما في الصناعة وأما غير هولاء لا أفعل بهم ذلك .
وأقصد بجميع التدبير بقدر طاقتي منفعة المرضى وأما الأشياء التي يضر بهم وتدني منهم بالجور عليهم فأمنع منها بحسب رأيي .
ولا أعطي إذا طلب مني دواء قتالاً ، ولا أشير بمثل هذه المشورة ، وكذلك لا أرى ان أدني من النسوة فزرجة تسقط الجنين ، وأحفظ نفسي في تدبيري و صناعتي على الزكاة والطهارة . ولا أشق أيضاً عمن في مثانته حجارة لكن اترك هذا إلى من كانت حرفته في هذا العمل .
وكل المنازل التي أدخلها إنما أدخلها لمنفعة المرضى وأنا بحالة خارجة عن كل ظلم وجور وفساد إرادتي مقصود إليه في سائر الأشياء وفي الجماع للنساء والرجال ، الأحرار منهم والعبيد ، وأما الأشياء التي أعانيها في أوقات علاج المرضى أو أسمعها أو في غير أوقات علاجهم في تصرف الناس في الأشياء التي لا ينطق بها خارجاً ، فأمسك نفسك عنها وأرى أن أمثالها لا ينطق» .
فمن أكمل هذا اليمين ولم يفسد منها شيئاً ، فأن له أن يكمل تدبيره وصناعته على أفضل الأحوال وأجملها ، وأن يحمده جميع الناس فيما يأتي من الزمان دائماً ومن تجاوز ذلك كان يضره .

*** وكذلك فقد اشترطت المدرسة المستنصرية لطلاب الطب تمام الخلقه والذكاء وحسن السيرة وانفردت بان يكون مسلما[٣] .**
*** واخلاقيات التعليم تلزم الطالب الادب اتجاه استاذه في مجلسه في الدرس وفي التصرف معه خارج ذلك وحتى بعد أن يصبح طبيبا ممارسا للمهنة .**
*** وهذه الاخلاقيات تشمل معلم الطب أيضا والذي أكثر الأحيان هو من افضل الاطباء علما, ولكون تعليم الطب مما يثاب المرؤ عليه فقد كان اكثرهم يعلمون الطب احتسابا بل ان البعض منهم اوقف بيته ليكون مدرسة للطب بعد وفاته كالطبيب الشامي عبد الرحيم الدخوار (٥٤٦٤)[٤].**

---

[١] ابن أبي اصيبعة عيون الأنباء في طبقات الأطباء الصفحة ٥٦٥ تحقيق د نزار رضا منشورات دار مكتبة الحياة بيروت

[٢] التكريتي د. راجي عباس السلوك المهني للأطباء الصفحة ١٠٥ دار التربية بغداد العراق

[٣] باقر د. رضي جواد الطب وتعليمه في عصر الحضارة العربية الإسلامية مجلة الحكمة العدد ٣٨ دار الحكمة بغداد ٢٠٠٤

[٤] عيسى د.احمد تاريخ البيمارسانات في الإسلام الصفحة ٣٩ دار الرائد العربي بيروت لبنان

*** وفيما يكون الكلام عن دراسة الطب لابد من وقفة مع مسالة التشريح ؛**
ففي عصر الحضارة العربية الاسلاميه وفي وقت كانت التيارات الفكريه الاسلاميه قد وصلت مرحلة الصراعات لم يشا الاطباء المسلمون الى ممارسة التشريح وهم المتلهفون للعلم وكانت هذه التفات ذكيه منهم ربما لابعاد هذه المسالة لفترة من الزمن حتى لا تكون مادة للتحريم وتكون عقبة لمن ياتي بعدهم.
فقد اكتفى احدهم بتشريح القرده كما فعل ابن ماسويه(ت٢٤٣ه)[١], والبعض الأخر اكتفى بملاحظته ما يظهر من خلال الجروح , وقد درس عبد اللطيف البغدادي (٦٢٥ه)[٢] العظام مما كشفت عنه مقبرة قديمه في إحدى التلول بالقرب من القاهرة.
ألا انه في اشارة لاتخلو من حكمه بين ابن رشد الحفيد (٥٩٥ه)[٣] حين قال (من اشتغل بعلم التشريح ازداد ايمانا بالله) راي يبرر فيه الجانب الاخلاقي العميق لممارسة التشريح , وقد يكون قد مارسه خفية ؟ .

- **وفي ما يخص العلاقة بين الطبيب والمريض فبما سيرد من اقوال الكثير من القيم الاخلاقيه العالية:**
  يعقوب بن اسحق الكندي[٤] :

« ليتق الله تعالى المتطبب ، ولا يخاطر فليس عن الأنفس عوض ، وكما يجب أن يقال أنه كان سبب عافية المريض وبرئه ، كذلك أن يحذر أن يقال أنه كان سبب تلفه وموته » .
وهي دعوة وتاكيد على التعامل بحيطه وعلميه وعدم التهور والاهمال في ممارسة الطب .

أبو بكر الرازي الطبيب (ت٣١٣ه)[٥] :
((يصعب في الطب كثيراً الوصول الى الحقيقة ، وفن الطب كما نجده في الكتب أقل شأناً من الخبرة العملية التي يحصل عليها طبيب مفكر وماهر » .
ومن ذا الذي ينكر ان برامج الدراسه الطبيه تؤكد على اهمية اكتساب الخبرة العملية من خلال الممارسه العمليه والعلميه .

« يجب على الطبيب أن يواسي ويشجع المريض حتى ولو كان مشرفاً على الموت لأن قوة الإنسان مستمدة من روحه المعنوية » .
وهذه المقولة للرازي هي بالتاكيد مستمده من الحديث النبوي الشريف (اذا دخلتم على المريض فنفسوا له في الأجل , فان ذلك لا يرد شيئا ولكنه يطيب النفس)[٦] وهي من الاهمية فيما يرد الان من مناقشات في المحاكم وبين الاطباء وغيرهم حول ما يسمى بموت الرحمه .

« إذا ما عالجت مريضاً فأبدأ بتقوية حيويته وحالته العقلية لأنك إن فعلت ذلك سهل عليك الباقي » .

وهنا تظهر اهمية الحاله النفسيه في علاج الامراض حتى العضوية منها .

---

[١] ابن أبي اصيبعة عيون الأنباء في طبقات الأطباء الصفحة ٢٥٠ تحقيق د نزار رضا منشورات دار مكتبة الحياة بيروت

[٢] السامرائي كمال مختصر تاريخ الطب العربي الجزء الثاني الصفحة ١٠٩ دار الشؤون الثقافية والنشر بغداد العراق١٩٨٥

[٣] السامرائي كمال مختصر تاريخ الطب العربي الجزء الثاني الصفحة ١٨٨ دار الشؤون الثقافية والنشر بغداد العراق١٩٨٥

[٤] ابن أبي اصيبعة عيون الأنباء في طبقات الأطباء الصفحة ٢٨٨تحقيق د نزار رضا منشورات دار مكتبة الحياة بيروت

[٥] ابن أبي اصيبعة عيون الأنباء في طبقات الأطباء الصفحة ٤٢٠ -٤٢١ نزار رضا منشورات دار مكتبة الحياة بيروت

[٦] ألعاملي جعفر مرتضى الآداب الطبية في الإسلام ١٩٩٢ الصفحة ١٩٢منشورات جامعة المدرسيين –قم–

« إذا كان الطبيب عالماً والمريض مطيعاً ، فما أقل ما لبثت العلة »
وبالتأكيد فان الثقة هي أساس العلاقة بين الطبيب والمريض ومنها تتاكد الفائده .

- **وللعلاقة بين الأطباء قيمها الأخلاقية أيضا اسحق بن سليمان (ت٩٠٥ه)**

«إذا ما حل بزميل لك ضرر فلا تذكره بسوء ، فإن لكل امرئ ساعته ، ولتكن تفائلك وحسن خلقك راشدك الوحيد للرفعة وللمجد . ولا تحاول أن ترتفع بإذلال الغير » .

*** وفي مسالة الاجوروهو امر كثر الكلام فيه هذه الايام فلنرى مثلا الطبيب القيرواني ابن الجزار[١] (ت ٣٩٦ه) فقد كان لايتقرب الى الامراء والاغنياء ويعالج الفقراء ويعطيهم الدواء مجانا بل انه كان يترفع عن ان ياخذ اجوره بنفسه ويترك الامر لغلامه.**
ومعالجة الفقراء مجانا كانت من افضل ما جاءت به الاخلاقيات الاسلاميه وهو ما مارسه اكثر الاطباء , وقد تجلى هذا الامر في المستشفيات والتي كانت العناية والنظافة فيها اقرب للخيال ويفوق افضل ما موجود حاليا ومع هذا كانت مجانا للاغنياء والفقراء.

*** وفي التزام الاطباء بكتمان السر وهي صفة لاتفريط فيها وكما حدث لامين الدولة (٥٦١ه) [٢]عندما طلب منه ذالك امير السلاجقه محمد خوارزمشاه في حصاره لبغداد وقد رفض ابن التلميذ البوح باي سر وهو الامرالذي رفع قدره لدى هذا الامير .**

*** ولم يكن حنين بن اسحق العبادي (ت٢٦٠ه) [٣] ألا مثلا عاليا يحتذى به لرفضه ان يحضر السم للخليفة المتوكل لقتل اعداءه وقد سجن وهدد بالقتل لرفضه .**

*** اما عن الامانة العلمية فليس كابن البيطار (ت٦٤٦ه)[٤] عالما حريصا على ان يرد كل راي الى صاحبه ويدون ملاحظاته وتجاربه بدقة وامانة فائقه .**

وهنك الكثيرمن هذه الحكم والمثل الاخلاقيه مما تركهاالاطباء والفلاسفة المسلمون ممالا تسعه كتبا عده .

وقد يتسائل المرء هل كان الامر يترك بدون مراقبة ومما لاشك فيه فان وجود من لهم مستوى ضعيف في اخلاقيتهم وسلوكهم(وهو الموجود في كل عصر) ، يتطلب من يتابع تطبيق مثل هذه المثل العاليه من الاخلاق الطبيه.
والجواب نعم وقد كانت جهتان في المراقبه
فقد كان هناك المحتسب ؛ والحسبة في بدايتها امر بالمعروف اذا ظهر تركه ونهي عن المنكراذا ظهر فعله عملا بقوله تعالى (ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر) [٥] وقد مارس الحسبة اول الامر الخلفاء الراشدون[١] ثم أوكلت بعدها للثقات من الناس .

---

[١] الشيخ حسين عادل محمد علي ابن الجزار القيرواني ص ١١ مطبعة التعليم العالي في الموصل

[٢] ابن أبي اصيبعة عيون الأنباء في طبقات الأطباء الصفحة ٣٤٨نزار رضا منشورات دار مكتبة الحياة بيروت

[٣] ابن أبي اصيبعة عيون الأنباء في طبقات الأطباء الصفحة ٢٦١ر رضا منشورات دار مكتبة الحياة بيروت

[٤] التكريتي راجي بن البيطار وأثره ف الطب والصيدلة الأمانة العلمية مركز التراث العلمي العربي جامعة بغداد

[٥] القران الكري سورة أل عمران ٣:١١٠

ووظيفة المحتسب مراقبة الاطباء كغيرهم من اصحاب المهن والنظر في الشكاوي التي تقدم ضدهم ومعاقبة من تثبت ادانته عاى مخالفة العرف والشريعه والقانون .
واما رئاسة الأطباء[٢] فهي مرتبة علميه لمراقبة الاطباء والزامهم بقواعد المهنه وادابها , وقد يمتحن رئيس الاطباء زملائه عند الاقتضاء .
ويتعهد رئيس الاطباء امام المحتسب ان لايتساهل في شوؤن الاطباء والزامهم بقواعد المهنه وادابها وان ياخذ عليهم عهد ابقراط .

الخـــــاتمـــــه :

في هذا العصر الذي يتسابق فيه العلماء والمؤسسات العلميه لاكتشاف الجديد حتى صار الجديد غاية ومبررا ,وطغت فيه الماديات , نجد الحاجة ماسة الى الالتزام بالاخلاقيات الطبيه حتى لا تضييع الانسانية هويتها امام النزعة المادية وليس مثل الاخلاقيات الطبية الاسلامية مرجعا نعود إليه.
أننا ألان أمام خيارات متعددة , فلكل امة خياراتها وهي بالتأكيد حاصل تحصيل لمعتقداتها وثقافاتها وان كنا نتحرج من أن نتكلم بماضينا ولأسباب معروفة فهل نستطيع أن ننسلخ منه في أعماق فكرنا وممارساتنا وان استطعنا ذلك فما الضير من أن ندرس هذه المناهج الفلسفية ونحن نمر بهذه الأزمات الأخلاقية المدمرة ولو من باب أكمال البحث العلمي باستيفاء كل المصادر , وما أغناها وما أجملها في ما تركه أجدادنا العظام .
وأخير أن أردت احصر النقاط التي أريد أن أوضحها كخلاصة للبحث أرجو من كل واحد منا أن يراجع ولو لبرهة نفسه وسيرى الكثير مما يمكن تلخيصه وعلق في الذهن

والله الموفق

الدكتور رضي جواد باقر

أخصائي انف وأذن وحنجرة
باحث في تاريخ الطب العربي الإسلامي
العراق /واسط /الكوت
ايار٢٠٠٦

[١] محفوظ د.حسين عي دراسات في الحسبة والمحتسب عند العرب مجموعة من الأساتذة مركز التراث العرب العلمي جامعة بغداد
[٢]

المصـــــادر :

١ . القران الكريم

٢. الرازي ابي بكر محمد بن زكريا المنصوري في الطب تحقيق د.حازم البكر ي المنظمة العربية للتربية والثقافة ١٩٨٧ الكويت

٣. البهي محمد الجانب الإلهي من التفكير الإسلامي الطبعة الثالثة ١٩٦٠.

٤.السامرائي د. كمال مختصر تاريخ الطب العربي دائرة الشؤون الثقافية والنشر بغداد العراق ١٩٨٥

٥. ابن أبي اصيبعة عيون الأنباء في طبقات الأطباء منشورات دار مكتبة الحياة بيروت

٦. الحاج قاسم د. محمود السلوك الطبي الإسلامي منشورات الجمعية الطبية الإسلامية موصل العراق ٢٠٠٤.

٧. رجب منصور علي تأملات في فلسفة الأخلاق المكتبة الانجلومصرية ١٩٦١.

٨. صحيح مسلم دار أحياء التراث العربي ١٩٥٤ .

٩. التكريتي د.راجي عباس السلوك المهني للأطباء دار التربية بغداد العراق .

١٠. التكريتي د.راجي عباس ابن البيطار وأثره في الطب والصيدلة الأمانة العلمية مركز أحياء التراث العلمي العربي جامعة بغداد ١٩٨٨.

١١. محفوظ د. حسين علي الفارابي في المراجع العربية دار الحرية للطباعة .١٩٧٥

١٢.محفوظ د. حسين علي دراسات في الحسبة والمحتسب عند العرب جامعة بغداد وزارة التعليم العالي .

١٣. شيخ الأرض تيسير المدخل إلى فلسفة ابن سيناء دار الأنواء بيروت ١٩٦٧.

١٤. الغزالي محمد خلق المسلم دار الكتب الحديثة ١٩٦٢.

١٥.الرهاوي اسحق بن علي كتاب أدب الطبيب سلسلة خزانة التراث بغداد ١٩٩٢.

١٦.المصري علي بن رضوان النافع في كيفية تعليم صناعة الطب مطبعة جامعة بغداد .١٩٨٧

١٧. عيسى د. احمد تاريخ البمارسانات في الإسلام دار الرائد العربي بيروت لبنان .

١٨. ألعاملي جعفر مرتضى الآداب الطبية في الإسلام منشورات جامعة المدرسيين –قم. ايران ١٩٩٢.

١٩.الشيخ حسين عادل محمد علي ابن الجزار القيرواني مركز أحياء التراث العلمي العربي بغداد ١٩٨٨.

٢٠. ذكري أبو بكر تاريخ النظريات الأخلاقية وتطبيقاتها العملية دار الفكر العربي .١٩٦٥

٢١.موسى محمد يوسف تاريخ الأخلاق دار الكتاب العربي ١٩٦٥ .

٢١. باقر د.رضي جواد الطب تعليمه ومدارسه في عصر الحضارة العربية الإسلامية مجلة الحكمة دار الحكمة العدد ٣٨ في ١٩٨٩ .